

من أعلام القضاء

فضيلة الشيخ عبدالرحمن

بن إبراهيم العريني\*

إعداد

حمد بن عبدالله ابن خنين

---

\* القاضي بمحكمة التمييز في مكة المكرمة .

إن الوقوف على سير القضاة لمعرفة مسيرة منهج القضاء في عصورهم، دليل على المآثر والمناقب للمترجم لهم، وذلك للاستفادة وتقوية العزائم، وهي نبراس للسائرين وقدوة للعاملين. يقول أحد المؤرخين: «إن أحسن ما يجب أن يعتني به ويلم جانبه بعد الكتاب والسنة هو معرفة الأخبار وتقييد المناقب والآثار»، كيف وإن كانت لعلم سامق يُعطر القارئ بأحواله، ويؤنس المتلقي بتجاربه، فيتخلق الناظر بأخلاقه، ويتطبع السامع بمآثره، ويجد الطلب ليلحق بالركب ويقتدي بصالح العمل.

فالمترجم له -رغم نشأته يتيماً- تربع على قمة هرم العلم ودرس على أيدي نخبة من كبار العلماء، ونال درجة الماجستير، والتحق بالقضاء، فتنقل في عدد من المحاكم والأماكن، فصقلت خبرته وأعطته مزيداً من البذل وحل الكثير من القضايا المستعصية التي غالبها انتهت بالصلح والقناعة. إنه من الرجال الكبار الذين لا يعبرون الذاكرة بسهولة، بل يبقون فيها.

إنه من طراز النادرين الراسخين في ذاكرة المتعاملين معه، مات فجأة، فأصبحت وفاته فاجعة ومات على مكتبه أثناء عمله، إنه فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم العريني البالغ من العمر ٦٧ سنة، والذي خدم القضاء ٤٠ عاماً، ختمها في قضاء التمييز وختم حياته بعبادة وشهادة. فرحم الله هذا الشيخ العلم رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

## فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم العريني

### \* نسبه:

هو عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن سليمان العريني السبيعي (سبيع بن عامر الغلباء) وهو من المدايين .

### \* مولده ونشأته:

ولد رحمه الله في بلدة ملهم التابعة لحريملاء سنة ١٣٦٣هـ ونشأ فيها يتيماً، إذ مات والده وهو صغير لم يتجاوز الثالثة من عمره، فنشأ في كنف والدته طرفة بنت مهيني بن مدعث المليحي السبيعي، هو وأخوه محمد وشقيقته. ولما بلغ سن التعليم درس في ملهم دراسة الكتاتيب، وثم انتقل مع أخيه للرياض فدرس في المدارس النظامية في الدرعية، ثم التحق بالمعهد العلمي بالرياض، وقد تزوج وهو في الصف الثاني الثانوي، وكان يعمل مع الدراسة في البيع والشراء، وبعد تخرجه التحق بكلية الشريعة وتخرج منها عام ١٣٨٦هـ، ثم درس في المعهد العالي للقضاء، وتخرج منه عام ١٣٩١هـ، وفي تلك الفترة درس على أيدي كبار العلماء، وعلى رأسهم: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، كما حضر دروس الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رحمهم الله جميعاً.

### \* عمله في القضاء:

بعد أن نال درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بالرياض، عين مساعداً لقاضي محكمة نجران الشيخ أحمد الغنيم - رحمه الله - وكان ذلك في ١١ / ٢ / ١٣٩٢هـ، وكان أول راتب تقاضاه ١٥٠٠ ريال ومكث بها قرابة ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى بلدة غميقة شرقي الليث في ١٢ / ٨ / عام ١٣٩٤هـ، وكان أول قاض فيها. وكان إماماً وخطيباً لجامع نجران وغميقة إبان تولي القضاء فيهما.

## من أعلام القضاء

وفي آخر عام ١٣٩٤هـ (١١/٩) انتقل إلى محكمة القريات بمنطقة الحدود الشمالية، خلفاً لقاضيها الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب رحمه الله، ومكث فيها قرابة الستين، ثم انتقل إلى محكمة الجوف/سكاكا في منتصف عام ١٣٩٧هـ خلفاً لقاضيها الشيخ محمد العسكري، ثم انتقل إلى محكمة عرعر/الحدود الشمالية، خلفاً لقاضيها الشيخ عبدالله بن عبيد وذلك عام ١٤٠١هـ، وبعدها انتقل إلى رئاسة محاكم الجوف في ٢٠/١١/١٤٠٣هـ، ثم عاد إلى قضاء سكاكا عام ١٤٠٥هـ، بعد مناقلة بينه وبين قاضيها الشيخ عبدالعزيز المبارك، وكان خطيباً وإماماً في جامعي القريات، وعرعر، وفي عام ١٤٠٧هـ انتقل رئيساً لمحكمة المبرز بالأحساء، وفي ١٥/٧ عام ١٤١٠هـ انتقل إلى محكمة دومة الجندل، وفي ١٥/٣/١٤١٨هـ عين قاضياً وعضواً في محكمة التمييز بمكة المكرمة، إلى أن وافاه الأجل رحمه الله. فخلال مسيرته في القضاء يلاحظ تنقلاته في أكثر من ثماني محاكم زادت من خبرته وصقلت موهبته، فكان علماً من أعلام القضاء في عصره.

### \* توليه الإمامة والخطابة:

كان رحمه الله إماماً وخطيباً في عدد من البلدان التي كان قاضياً فيها، كنجران وبلدة غميقة شرقي الليث والقريات وعرعر، بالإضافة إلى بداية تعليمه. وخلال الفترة من ٧/١٣٨٥هـ حتى ٥/١٣٩٢هـ كان إماماً لجامع المغيدر بالملقى وإماماً في مسجد بشارع الريل بالرياض.

وكان يقدم الدروس والمواعظ ويقضي حاجة الناس ويحل مشاكلهم، ويجيب على أسئلتهم الدينية ويسهل عليهم أداء الأمور والواجبات.

### \* قضاؤه:

كان رحمه الله معروفاً بالنزاهة والحرص على أداء عمله على الوجه الأكمل، كان

## فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم العريني

حريصاً على دراسة القضية وتدقيقها وتمحيصها، وكان حريصاً على الصلح، يعرضه مراراً على الخصوم، غير أنه لا يضيع على أحد حقاً يتبين له ويستعين بمن له تأثير في الخصوم ليصلح بينهم. وكان حريصاً على إنجاز المعاملات فكان يذهب في أي وقت من يومه لإنهاء القضايا وعدم تعطيلها، حتى إن القضايا التي كانت بحوزته بعد موته لم تتجاوز خمس قضايا فقط، وكان شعاره: «لا تؤجل عمل اليوم إلى غد».

وهذا مما جعله محل ثقة الجميع. يأتيه الخصوم وهو مدكون أن موضوعهم سينتهي فوراً بلا تأجيل. فقد كان يسيراً وسهلاً في إجراءاته وطريقة تعامله. يحسن الظن بالناس، فيحكم لهم بالظاهر، وقد تلاحظ أن صكوكه الصادرة منه مختصرة بدون إخلال، وموجزة بدون نقص.

فقد كانت تنقلاته المتعددة زادته رسوخاً في حل الكثير من القضايا الشائكة، وأعطته بعداً وخبرة وتنوعاً في معرفة طبقات الناس.

فقد جمع بين أطراف المملكة ومناطقها، فكانت ثماره يانعة، وعطاؤه يتدفق، هذا مما انعكس إيجاباً على سرعة إنجاز قضاياها، وحقق ما لم يحققه غيره. فرحم الله فقيد القضاء.

فقد كان عنواناً للعطاء، ومثالاً للاحتذاء وأموذجاً يسير على منهجه من أراد الوصول إلى المعالي وتحقيق المنى. وقد علا صيته فكتب عنه الكثير يعزون فيه ويدعون له ويذكرون مآثره وسيرته التي عطرت الأسماع وأنست القلوب فرحمه الله رحمة واسعة.

### \* من طرائفه في القضاء:

كان من شروط منح الأراضي من الدولة أن لا يكون للفرد أرض سكنية بالمملكة، وكان أحد الشهود يشهد قائلاً: أشهد بالله العظيم، ما له أرض بهذيه، وكان ذلك في

القريات ، فقال رحمه الله : نعم ، وأنا أشهد هذه دار ابن عبد الوهاب ، ولكن هل له أرض بالقريات ؟ فما كان من الشاهد إلا أن قال : لا أدري وغادر خجلاً .

وهذه قصة أخرى : شهد عنده رجل أن على ظهره خمسين ألف ريال (قصده دين عليه) فطلب رحمه الله من العسكري أن يرى ظهر الشاهد ، فوجد بين الثوب وظهره مبلغ خمسين ألف ريال ، والشاهد كان يقصد التورية ، كالأول . ومن المواقف التي تتسم بالطرافة والحنكة أنه كان رحمه الله في مجلس القضاء لا يرد أحداً من المراجعين ويترك الخصوم يتجادلون وهو يقوم بقضاء مصالح أخرى لآخرين ، وأذنه تسمع ما يدور حتى يكتشف منهم ما لا يظنون ، ويعرف من خلال كلامهم وجدالهم الذي بينهم كثيراً مما يتوجه به في القضية .

### \* أمنية والدته :

كانت والدته رحمها الله دائماً ما تسأل الله سبحانه وتتمنى أن يكون ابنها محمد قاضياً في المدينة وابنها عبدالرحمن قاضياً في مكة ، كان لها ذلك ، فقد تولي محمد التدريس في المدينة وتولى ابنها عبدالرحمن القضاء في مكة . فتحققت أمنيتها بعد وفاتها بسنوات عديدة ، فقد توفيت عام ١٣٩٣ هـ . وهذا ينم على إصابة دعوة الوالدين للأبناء ولو بعد حين من الدهر .

### \* أخلاقه وتعاملاته :

كان رحمه الله شديد التواضع ، محباً للضعفاء والمساكين ، شديد العطف عليهم وكان معروفاً بلين بجانبه وسماحته وبشاشته ، كان يفشي السلام على من يعرف ومن لا يعرف ، وكان كثيراً ما يتعاهد الضعفاء والمساكين وأصحاب الحرف المهنية والبسيطة ، وكان يقول : هؤلاء لا يفتن الناس لهم ، وهم له حق وكان معروفاً بشدة غيرته على دين الإسلام ،



المثلَى والقُدوة الحسنة، والصِلاح والتقوى والخوف من الله تعالى، والحفاظ على ذمته، وكان متمسكاً بمقولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «ألا إن أفواكم عند الضعيف حتى أخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه».

روى أبناؤه وموظفوه الكثير من المواقف الإنسانية والتي يطول الحديث عنها، مما يتطلب ترجمة حياة الفقيه في كتاب خاص يبقى درساً لمحبيه للاقتداء بأثره.

إنه من طراز النادرين الراسخين في ذاكرة المتعاملين معه، لين الجانب طلق المحيا، رطب اللسان، طري الابتسام لا يعتريه كبر ولا ينقص بشاشته كلل أو ملل، لا يطرأ في سلوكه تغير ولا تبدل. كما يعتقد أن المناصب تتقلب معها النفس، فهو معطاء للصغير والكبير، لا يشح كرم نفسه في تمثيل منصبه، خير تمثيل، فشؤون المواطنين شأنه الأهم وتيسير أمورهم شغله الشاغل.

إن من يدخل إلى مكتبه يشعر بأنه الأقرب إلى فضيلته، لما يلقاه منه من حرارة الترحيب وسعة الصدر وكرم الاستقبال، وعظيم الاستماع فلا يرد بابه أو نفسه أمام ضعيف أو فقير أو كبير أو صغير أو مراجع، فهذا ديدنه.

فهو ثابت الطبع، كريم الأخلاق، فعطاؤه الممتد من القول والفعل لا يشوبه تعال أو فتور، إنه من الرجال الذين يغيرون الزمن ولكنه لا يتغير، وهنا الفرق بين الجبلية والتصنع. لقد جمع الله له بين الحسينيين - فما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا - يقول القائل:

أبقى مكارم لا تبيد صفاتها  
أصبحت مهجوراً بحفرتك التي  
ومضى لوقت حمامه المقدور  
ليس البلى لفعالك المشهور  
بليت عظامك والصفاح جديدة

كما قال آخر :

لئن بليت فلا يبلى ندادك ولا تنسى ، وكم هالك ينسى إذا قدما  
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما تركت مالك بين الناس مقتسما

\* وفاته:

في آخر يوم في حياته كان على موعد مع من يثق به ليعطيه زكاة ماله ، فوفاه الأجل قبل أن يتمكن من ذلك ، ففي آخر حياته اشتد عليه مرض القلب والمعدة ، ولم يثنه ذلك عن أداء عمله ، فأصر على العمل والصيام ، بالرغم من قيام العذر ، إلى أن جاء يوم الثلاثاء الموافق ١١ رمضان عام ١٤٣٠ هـ بعد أن أدى صلاة الظهر ، وفي تمام الساعة الواحدة والربع شوهد يؤدي السنة ويطلب الدعاء وعلى غير عاداته ، ثم قام بالسلام على من حوله وصعد إلى مكتبه ، وطلب إحضار عدد من القضايا ، لكنه سقط من كرسيه وهو ممسكاً بقلمه بيده والسواك في فمه وشجّه في رأسه من أثر السقوط ، وجرح في رقبته حيث فارق الحياة رحمه الله رحمة واسعة .

وغسله أبناؤه وصلي عليه في المسجد الحرام ، بعد صلاة العشاء ودفن في مقبرة الشرائع بمكة ، جعل الله قبره روضة من رياض الجنة ، ومن باب المصادفة وبعد تشغيل سيارته وجد شريطاً ، يستمع إليه في ذهابه للعمل وعند بدء التشغيل وجدت الآية الكريمة تقرأ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَا بِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف : ١٥٦] . صدق الله العظيم .

فاللهم اجعله ممن اتقك وآتى الزكاة وآمن بك وبآياتك ، وارفع منزلته في المرضيين مع

النبين والصدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

\* رثاؤه :

كتب عنه الكثير . . وبكاه عدد كبير . . وفقده الصغير والكبير .

يقول أحدهم : بينما كنت بين كوكبة من العلماء والمحبين إذا برسائل الأحزان تتزاحم من المعزين ، فتمالكت نفسي حيث انقلبت فجأة من الفرح إلى الحزن . حزن عميق دك هضاب قلبي ، وكدر خاطري ، وأحاج الذكرى لدي متذكراً مآثر هذا الشيخ الجليل الذي غاب فجأة . فخيم الحزن على فراقه لعلو مكانته في النفس ، وداخل القلب ، سيظل مكتبه بين جوانحي وفي واحات الفؤاد وأزماناً طوالاً . فهو ابن بار لموطنه ، ورجل كريم من أعلام البذل السخي في أوجه البر والإحسان ورعايته للمحتاجين والأرامل والأيتام وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

لقد اتصف بصفات حميدة يغبط عليها . منها : ملاءمته لطاعة الله وتلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار .

ويقول آخر : بعد معاناة مع المرض واحتساب ذلك عند الله فاضت إلى بارئها روح الشهيد وحامل لواء القضاء الذي جال البلاد لخدمة الوطن في هذا الجانب الشرعي الهام . مات فجأة فكان الناس بين مصدق ومكذب ، سقط من صهوة جواد القضاء وهو يلوح بالشهادتين ويختم حياته بالعبادة من صدقة وصلاة ودعاء ، وإن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ونحسبك من الأبرار الأخيار فهذه هي سنة الله في خلقه .

كتب عنه راضي بن حجر العنزلي مدير الإدارة بمحكمة القريات سابقاً : عملت مع فضيلته فرأيتة يتقيد بأصول المرافعات الشرعية حيث يجلس الخصمان أمامه مهما كانت مرتبتهما ، ثم يستمع للدعوى والإجابة وكان يتميز بالعدل بين الخصمين ، ويدون ما

## فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم العريني

لديهم، في الضبط حسب لهجتهما حرفياً، ويثبت مالديهما من بينات وشهادة الشهود، وكان يحرص علي الصلح قبل الحكم، وكان حازماً من غير شدة، سريع البديهة وسيع الصدر، يدرك نهايات الأمور من بداياتها، عندما يتحدث تجد في كلامه الغاية والنتيجة، بكلمات يسيرة كان يحب إنجاز الأعمال في وقتها، والتيسير على الناس، ومن ذلك عندما كثر المراجعون لديه بشأن إثبات منح أراضي بالقريات عام ١٣٩٦ هـ ونظراً لضيق المحكمة انتقل بالناس إلى مصلى العيد، حيث كان يجلس لهم فترة الصباح حتى الظهر، واستمر أسبوعاً حتى أنهى الجميع بكل يسر وسهولة، وبرغم الزحام إلا أنه لم يتضجر أو يزجر أحداً منهم، فكسب احترام الآخرين وتقديرهم، وكان يأنس بهم ويتقبل آراءهم وينصت إليها، ولكرم فضيلته وسخاء نفسه أثر واضح في علاقته مع كثير ممن عرفوه رحمه الله .

وكتب ابنه عبدالحفي أن والده رحمه الله لا تفارقه الابتسامة وكان صبوراً حليماً، وخاصة مع أهل البادية، وكبار السن والجهال، وكان لين الجانب مع المراجعين وكان يرد الإساءة بالإحسان والعفو وطيب الخلق وسعة البال وكان يتحلى بالرحمة والشفقة وتقدير الظروف .

وكتب عبدالعزيز بن عواد الدخيل كاتبه الخاص أنه رحمه الله كان حليماً متواضعاً ذكياً شديد الفراسة صبوراً كريم الأخلاق، وكان يعفو ويصفح ويناصح المسيء، وكان كريماً جواداً، ومن صفاته أيضاً التواضع وعدم التكلف في الملابس والمركب، وكان حريصاً على مراعاة الناس ولا سيما كبار السن والنساء وكان حريصاً أيضاً على الإصلاح بين الناس . وكان يجتهد في الحصول على البيئات والدلائل والقرائن ثم يصدر الحكم بموجبها .

ورثاه الأبناء في المتديات ودعوا له بالمغفرة والرحمة واحتسبوه عند الله صابراً شاكراً

ورغبوا من الجميع الدعاء له والمسامحة في شتى تعاملاته معهم وأوردوا كثيراً من لطائفه وطرائفه وحسن تعامله ، وبيان مآثره ووعدوا بالكتابة عنه وتقصي المعلومات الموثقة من أقرانه وزملائه ومحبيه ، امتداداً لمسيرته وسيرته بصورة وافية ، فعن مثل هذا العلم الشامخ يؤلف للاستفادة من سيرته والسير على منهجه ومثاليته رحمه الله رحمة واسعة .

### قوم هم زينة الدنيا وصحبتها وهم لها عمد ممدودة الطنب

ودون أحدهم في مذكراته : إن ترجمة هذا العلم الفريد الفذ أمر مطلوب ، لا سيما في حياته العملية التي احتك من خلالها بالناس وبشتى الطبقات ، ورحل في كثير من الأمصار ، فهو بهذا مدرسة إدارية قضائية جامعة وشاملة متدفقة بقوة الذاكرة ، ودقة الملاحظة وصحوة الضمير ويقظة الإنسان . فرحم الله هذا الإنسان وأعلى منازلَه في جنات النعيم .

فهذه غيض من فيض وعجالة مع موجز ودعوة لأن يدون في ذكره الصفحات .

شوقتنا الأثار للأعيان وأثارت كوامن الأشجان

رُبَّ حرف أغناك عن صفحات رُبَّ رمز كفاك عن تبيان

اللهم اجزه عن الإحسان إحساناً وعن الإساءة عفواً وغفراناً وأنس وحشته في وحدته وأنزله منزلاً مباركاً منازل الصديقين والشهداء والصالحين والأبرار وحسن أولئك رفيقا، واجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأدخله جنات النعيم، إنك جواد كريم .